

# حكايات من جنوب السعودية.. شيخ المرشدين وصخرة نجران



(علي السويدي)

رجال «نار» يؤدون التحية للمضيف



## رحلة

## في أعماق التاريخ والحضارة وكنوز الطبيعة

## الأخيرة



العم الجبلي يجول بالقافلة في مدينته السياحية

## قافلة الإعلام السياحي الخليجي في نجران وجازان ومكة المكرمة

### نجران وجازان - عاطف عيسى

تجربة مدهشة وممتعة في آن تجد نفسك تغادر عسرك وتغوص ضمن قافلة اعلامية، في اعماق التاريخ، وتقلب صفحات التراث وتطالع معالم الحضارات، تبدأ من العصر الحجري ونشأة الانسان وتمر في سرعة وخفة الى حضارات ما قبل الميلاد، ثم الى عصور متأخرة قبل مئات السنين من مبعث الرسول الكريم محمد ﷺ مروراً بعهود الخلفاء الراشدين ثم دولة بني امية فبني العباس وصولاً للعهد العثماني فالعصر الحاضر.

هكذا كانت التجربة المدهشة في قافلة الاعلام الخليجي السياحي التي تنظمها الهيئة العامة للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية، بادئة بالرياض عاصمة المملكة وحاضرتها، لترتد سريعاً الى نجران حيث التاريخ والحضارة بدءاً بمطارها الاحدث في المملكة ثم الاخدود الشهير فالآبار التي تعود الى آلاف السنين ومواقع أثرية وحضارية في نجران التاريخ، ثم كان الانتقال السريع الى جازان حيث كنوز الطبيعة المتنوعة، الساحل الجميل والجزر البكر الخلابة، والجبال الشاهقة والقرى التراثية المتميزة. وكان الختام في مكة ام القرى، حيث اعلى ساعة في العالم، وغار ثور وغار حراء ومتحف الحرمين ومصنع كسوة الكعبة الشريفة، رحلة استمرت 10 ايام كاملة، شاركت فيها «الأنباء» ضمن فريق اعلامي كويتي ضم تلفزيون الكويت وتلفزيوني الوطن والراي والزميله الوطن الى جانب وسائل اعلامية ومحطات تلفزيونية خليجية وعربية. ولنبدأ من حيث النهاية، من مكة المكرمة، فجازان ونهاية نجران.

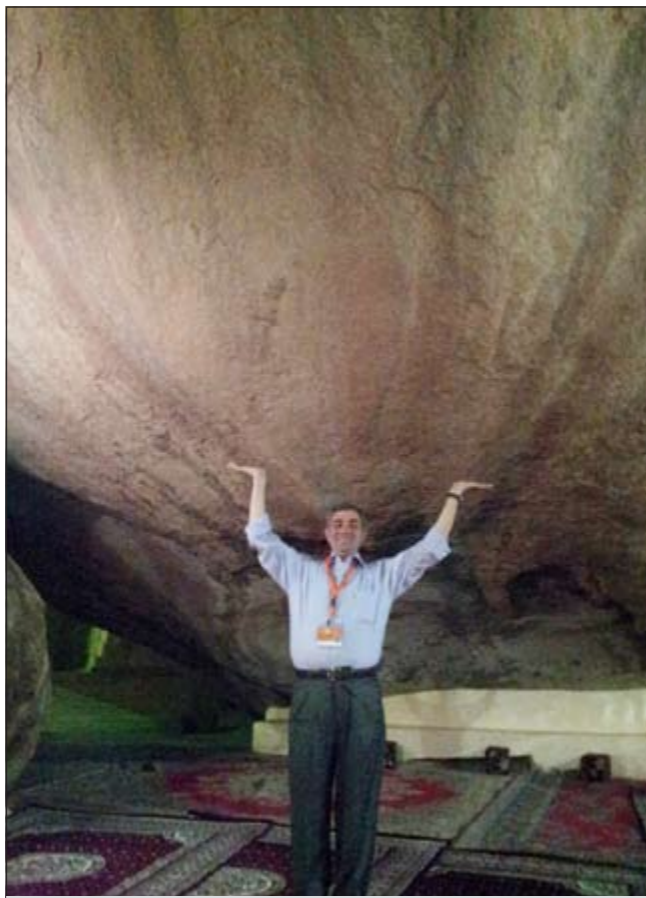
والسمن، الرقش، الحميسه»، وتطرق للالعاب الشعبية ك «الشاع، الحديد الحارة، الخدقة، وأسواق نجران الشعبية ومساجدها التاريخية».

أربعة أيام كاملة قضيناها مع العم سعيد، تاريخ نجران ورمزها، ودعنا على باب الفندق وعيناه تدمعان ويداه ترتجفان وهما تلوحان لنا: وداعاً.

### صخرة نجران

كان الموعد على العشاء، «يا شباب التجمع في (الووبي) الساعة الثامنة.. العشاء على شرفكم يقيميه رئيس غرفة تجارة وصناعة نجران في قمة جبل.. استعدوا.. هذا صوت محمد الرشيد يحث الاعلاميين على سرعة التجهيز. وانطلقت سيارات الدفع الرباعي نحو الجبل تصعده بخفة حتى وصلنا للموقع المحدد، مكان مجهز للاستقبالات والموائد الكبيرة، يشرف على الوادي كله، النار موقدة بخشب اشجار ذي رائحة عطرية، وضعت عليه آنية الشاي والقهوة، جلسة الاستقبال دائرية في قمة الجبل مسورة بأعمدة رفيعة من المعدن، كان الموقع بديعاً يأخذ بالآلاباب، العشاء وضعت مائدته في ساحة مستطيلة مغطاة.

لكن هناك شيئاً لافتاً بالفعل، تتوسط الموقع صخرة عظيمة، كأنها جبل وحدها، متكئة على صخرة صغيرة على يمينها، ومستندة في ظهرها الى صخرة أخرى متوسطة، أتاح الفراغ الواقع بينها لعمل غرفة خشبية أنيقة، وفرشت المساحة التي تحت الصخرة لتكون مجلساً منفصلاً، أدهشتنا فخامتها، سالنا العم سعيد فقال: هذه الصخرة «العودة»، عمرها من عمر أجدادنا وأجداد أجدادنا، كلهم تحدثوا عن وجودها منذ مئات، بل قبل آلاف السنين، هي مقصد كثيرين يرون فيها، وفي الجبل الواقعة فيه مزاراً، لكن هذا المكان استراحة خاصة بصاحبه، حرص إعلاميو القافلة على التقاط الصور عند الصخرة التي تقف صامدة وشاهدة على



الزميل عاطف عيسى يحمل الصخرة على يديه

ويحفظ كل الاحتفالات الشعبية «الأعياد والختان والزواج» ويجسد العروض الشعبية المتنوعة، ويؤدي كل أهليتها، يعرف الزامل والرزقة والمراغ أو الطبول.

عم سعيد صاحب القافلة في كل تنقلاتها، وخلال تلك التنقلات كنا نمطره بالأسئلة والاستفسارات حول كل ما تراه أعيننا، كيف كان وكيف صار، تحدث كثيراً عن صناعة الفخار وتطورها، تحدث عن البرمة والتنور والزير والمرهد والجمنة، وتحدث عن صناعة الحجر الصابوني، والصناعات الخشبية والمعدنية والحلي والنسيج والجلود وتوسع أكثر في شرح العادات والتقاليد، عن المنصد والنحل والنوب والرفدة والفروق وورد الإبل ولم ينس الماكولات الشعبية ك «الوقد، البر

صاحبنا الى قصر العان ثم الى سد نجران، وحكى لي كيف كانت معانسة أهل نجران قبل إنشاء هذا السد، وكيف كانت السيول تغرق الوادي، وعند هنا ورواية هناك. اختليت به والوادي ويذبل ما فيه من اشجار ونباتات.

كان مرشدنا في قصر الإمارة ودفن بي الى غرفة مظلمة وقال: تشجع ولا تخف، وما ان تجولت عيني في سقفها حتى وجدتها ملأى بطيور «الخفافيش» التي تعشق الظلام.

وفي سوق الجنابي، يروي حكايتها، وتاريخها وأهميتها كترات وتقليد عن أهل المنطقة قديماً وحديثاً، وفي سوق الفخار كان حاضراً بمشاركته ومعلوماته عن كل قطعة في السوق. يعرف تفاصيل قصر سعدان، وقلعة جبل روعم،



صخرة نجران

فكان مرجعا ومرشداً وصديقاً ومعلماً، خبير بنجران، يعرف حدودها، وقصة كل حجر في موقعه، يسلك به طرقه الجانبية وعره الرئيسي ويحكي واقعة هنا ورواية هناك. اختليت به وسالته: ما سرك يا عم سعيد؟ أجاب بسرعة: أنا نجراني، أنا ابن نجران، عشقت أرضها وسماها وواديها، فوعيت تراثها وتاريخها وحفظته دون أن أقرأ أو أكتب. سمعته كابراً عن كابر، فأخذته وتعلمته ووثقت تفاصيله، ومع ورود السائحين والزائرين من أوروبا وأمريكا، والباحثين كذلك الى نجران وخصوصاً الى موقع الأخدود الذي يشكل لدى المسيحيين واليهود شأنًا كبيراً، بدأت في التواصل معهم، وتعلمت منهم، وأجدت لغاتهم، بل صرت مرشداً لهم في الأخدود وغيره من المواقع الأثرية.



الغور «عنتر» زعيم المزرعة البقرية في مدينة العم الجبلي



شيخ شيوخ قبيلة يام الشيخ صمعان متحدنا للقافلة

# ومخيم الربيع الخالي وأقدم حدائق المانجو في جازان



نار وسمر في الربيع الخالي



شيخ المرشدين السياحيين في نجران العم سعيد



الزميل طلال الهيبي يلتهم قطعة من مانجو أقدم حديقة في جازان

قوة وعزيمة الرجال، واصبحت مزارا للكثيرين يلقون فيها كل ترحيب وكرم وجود من العم الجبلي.

## «شيشة نسائية» في مرسى الأحلام

جازان بيئة الساحل الجميل والكبير على البحر الأحمر وجزرها المتعددة، كان موعدنا على العشاء في مرسى الأحلام، وهو مطعم ومقهى كبير، جلسنا نتسامر حتى يتم تجهيز العشاء، حديث السمر الذي كان قبيل منتصف الليل بقليل، تسلل منه بعض الرفاق بحثاً عن «الشيشة» في هذا الجو البديع، وعلى مقربة من الماء، لم نحفل بهم كثيراً واخذتنا حلالة السمر حول جازان وعادات أهلها ومستقبل السياحة في مثل هذا المكان وغيره، بعد نحو الساعة، وبعد أن كدنا نهلك جوعاً، صاح بنا مدير المطعم: العشاء جاهز، العشاء اعد في مكان يستوعب اعلامي القافلة وضيوفاً ومرافقيها، وكان عشاء فاحراً من المأكولات البحرية والبرية على السواء، ورغم شدة جوعي، وقبل ان اجلس على المائدة، لاحظت عن بعد نسوة منتقيات، ووضعت يقربهن الشيشة، اشرت الى زميلي في تلفزيون الكويت طلال الهيبي، فقال: عادي هنا في جازان عادي، صرت اراقب المشهد، واشاهد كالجبال تماماً، لم يشعني رد المنسوة وهن يدخن الشيشة كالرجال تماماً، لم يشعني رد الزميل الهيبي، فتوجهت الى احد مرافقينا من أهل جازان فرد بنفسه الخبر: بعض النسوة يأتين الى هنا خصيصاً لتدخين الشيشة، ولانه مقهى ومطعم وعلى الساحل وفي جازان بلد الساحل، فانه يعد امراً عادياً وغير مستغرب على الأقل من أهل جازان، واكد لي ان جازان تلتقي من خلال الساحل واعماله والتجارة من خلال البحر بثقافات عديدة، ترسخ من خلالها عادات ربما ليست موجودة في كثير من بقاع المملكة، وانتهت الى الجوع، وعدت بوعي للمائدة، فقد كان نداء المأكولات البحرية اقوى من نداء التطفل لمعرفة كل ما يدور حولي.



اصغر شاعر يلقي قصيدته امام شيخ شيوخ قبيلة يام



«العشة» التي استقبل فيها الجبلي ضيوفه من اعلامي القافلة



شجرة في الحديقة منحوت عليها اسم الأمير محمد بن ناصر أمير جازان



العم الجبلي يشير الى جذع شجرة نحت عليه اسم الأمير خالد الفيصل

جازان الطازج وتلمسنا حلالة الثمار بعد الجهد والعمل المضني، وكما كان الطعام شهياً كانت ثمار المانجو شهية كذلك. يبهرننا اصرار العم الجبلي وشدة باسه في انجاز ما يطمح له دون انتظار مساعدة الآخرين، ويهزنا ذاكرته والمعينة في رواية ادق التفاصيل قبل عشرات السنين. اخذنا الى مدرج كبير اسفله ساحة يعولها مسرح، قال انه سيكون مكاناً للاحتفالات التي يمكن ان تقام في المدينة والمدرج منفصل الى قسمين، احدهما للرجال والآخر للنساء. حديثه عن المانجو يشبه حديث احدهنا عن اعز ما لديه عن ولده الذي عايشه وليداً ثم رضيعاً ثم صبياً، ففتى يافعا فشاباً قويا، هكذا هي الآن مزرعة المانجو، شامخة بأشجارها شاهدة على تقدمها لضيوفه، وذقنا مانجو

لنا طعام الغداء وبدأ بتقديمه بنفسه، وذبايح الماعز الجبلي واكلات شعبية، في العشة التراثية الجميلة، ولشدة كرمه فقد زعم انه تغدى ولذلك سيدعنا ناكل على راحتنا. كان الطعام شهياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وبعد البخور والشاي والقهوة بدأت الجولة في مزرعته العميقة، بل هي قرية سياحية متكاملة، تحوي اكبر مزرعة للمانجو تضم نحو 7 آلاف شجرة وتنتج مئات الاطنان من هذه الثمرة المحببة للنفس، حكى لنا حكاياته مع المانجو وقصته مع احد وزراء الزراعة السابقين، وكيف انصفه الامراء الكرام، طموحه في انجاز هذه المدينة المتكاملة لا حدود له، ينفق عليها بسخاء دونما طلب من احد، ويفتحها لكل احد، صارحنا بقوله: لن الجا الى القروض الربوية، بل سأسعى بكل ما اوتيت من

عراقة وتاريخ نجران.

## تخييم في الربيع الخالي

سنخيم في الربيع الخالي؟ عم تتحدث وكيف؟ بادرت مدير المشروع محمد الرشيد هل حثك أحد على التخليص منا جميعاً؟ هذا «الربيع الخالي»؟ ابتسم وقال: انتظروا وترقبوا وسترون. علمنا الحكاية، أسد كبار رجالات الأعمال في نجران، ومن أجودهم اصبر على الاحتفاء بالقافلة واعلاميتها على طريقته الخاصة، في مخيمه الخاص بمدخل الربيع الخالي (إن كان له مدخل)، استقبلنا المضيف وكبار رجالات القبيلة بالألوان الشعبية التراثية وأغرقتنا في كرمه وجوده، وتحدث عن نجران وطموحاته وطموحات أهلها في مزيد من التطوير والتحديث، قريب من المخيم كانت عشرات من الجمال والنوق وصغارها «الحواشي» تتهدى، فانطلقنا اليها نتأملها ونلتقط الصور معها، وجاء باوان معدنية وفخارية كبيرة، وبدأ بعض الحاضرين في حلب النوق وتقديمه للضيوف، كل ذلك وسط طقس بديع أراح نفوسنا من عناء وازدحام البرنامج وغسل من قلوبنا كل هموم الدنيا.

## جازان.. والمانجو

جازان بلد المانجو، معلم وملحم جديد لم يكن معروفاً (لدينا على الأقل) عن هذه المنطقة من الجنوب السعودي، هذه الفاكهة المحبوبة لدى الجميع والتي تخرم صيفا وجدنا بشائرها هنا في جازان، بل وسمعنا عن مهرجان يقام في مايو من كل عام يسمى باسم هذه الفاكهة، مهرجان المانجو، ليضيف ميزة جديدة لجازان، كنوز الطبيعة وجمال الصناعة الالهية. القافلة كانت على موعد لزيارة اقدم مزرعة للمانجو بالمنطقة، انها مزرعة العم محمد الجبلي، صاحب المبادرة والدعوة، والذي كان في استقبالنا - رغم كبر سنه - على سلم الباص ليصطحبنا في اجمل جولة يمكن ان نعيشها. الرجل كريم لأبعد الحدود، جهز



«المالديف» في جازان



إبل وحوارات في «الربيع الخالي»